

١ - الحقيقة الرمادية ..

تهالك الكهل فوق مقعده ، وسقط منظاره الطبيُّ
أرضًا ، واكتست ملامحه بحبَّات من عرق غزير ، وأطلَّت من
عينيه نظرة فزع ، وارتجفت يده على نحو ملحوظ ، وهو يعاود
قراءة تلك الرسالة ، التي تلقاها هذا الصباح ، والتي تقول :
— « سيّد العالم الجليل .. لقد سطونا على معملك ليلة
أمس ، ولست أخفى عليك أننا كنا نهدف إلى الاستيلاء على
مخبرات خزانك فحسب ، فلسنا من هواة إضاعة الوقت ،
بحمل أجهزة ثقيلة ، يصعب التصرّف فيها ، مثل أجهزة
معملك ، ولكن خزانك خيبت آمالنا ، فلم تكن تحوى أيّة
نقود ، أو سبائك ذهبية ، كما كنا نتوقّع ، وإنما مجرد حقيبة
رمادية ، تحوى جهازًا صغيرًا ، قريب الشّبه بوحدات التحكم
الآلي (الريموت كونترول) ، وبضع أوراق ، تحمل عبارة (هام
وسرى للغاية) .. وصدّقنى ، لولا تلك العبارة ، ما جال
بخطارنا سرقة الحقيقة ، لمّا علمنا أنك ستكون مستعدًّا لدفع ثمن

جيد لاستردادها ، وكذلك سيفعل عشرات العلماء ،
للحصول عليها ، ولكنني سأكون سخيًا معك ، وسأمنحك
عرضًا خاصًا ، وهو أن تستعيد حقيقتك ، بكل ما تحويه ،
مقابل عشرين ألفًا من الجنيهات فحسب ، مع الوضع في
الاعتبار استحالة تنازلي عن قرش واحد من المبلغ ، وضرورة
عدم الاستعانة برجال الشرطة ، وبعدها سأنتظرك داخل
سيارتي ، في الساعة تمامًا من مساء الغد ، أمام مدخل الحديقة
الدولية ، ودع لنا مهمة تعرفك ، وأحضر المبلغ المطلوب ؛
لأنك إن لم تفعل ، أو إن استعنت برجال الشرطة ، فسيكون
من المحتم عليك أن تودع اختراعك إلى الأبد ..

انتهى العالم الكهل من قراءة الرسالة للمرة الثانية ، وحاول
أن ينهض من مقعده ، إلا أنه ترنح ، وكاد يهوى به أرضًا ، ثم لم
يلبث أن ترك الرسالة فوق المقعد ، واتجه في خطوات متهاكة
إلى حجرة جانيّة ، وتناول سماعة الهاتف ، وأدار قرصه
بأصابع مرتجفة ، وانتظر حتى سمع صوت محدّثه ، فقال في
ضعف :

— أريد التحدّث إلى اللواء (مراد) فورًا .. نعم .. الأمر
عاجل للغاية .. أنا (صادق) .. (صادق سراج الدين) ..

عالم بمركز الأبحاث النووية .. صلني باللواء (مراد)
بسرعة .. أرجوك .

ولم تكن تلك المحادثة تدور عبر أسلاك الهاتف فقط ، وإنما
كان كل حرف منها ينتقل ، عبر جهاز تصنّت صغير ، إلى أذني
رجل يجلس في الطابق السابع من نفس المبنى ، الذي يقطنه
الدكتور (صادق) ..

رجل استمع إلى كل حرف في انتباه بالغ ..
ولم يكن هذا الرجل صديقًا ..

استجاب الدكتور (صادق) لرنين جرس مسكنه ، في
العاشرة من مساء تلك الليلة ، ووجد أمامه شابًا متين البنيان ،
في أواخر العشرينات من عمره ، يرتدى زِيّ عمل رسمي ،
حيّاه بابتسامة هادئة ، وهو يقول :

— مساء الخير .. لقد حضرت لإصلاح الهاتف .

دعاه الدكتور (صادق) للدخول .. ولم يكذ ذلك
الشاب يدلف إلى الشقة ، حتى ألقى حقيبة معدّاته جانبًا ،
وراح يفحص محتويات المكان في اهتمام وعناية ، ويتطلّع من

النوافذ إلى البنايات المجاورة ، ثم لم يلبث أن التفت إلى الدكتور
(صادق) يسأله في اهتمام :

— أقيم هنا وحدك ؟

الدكتور (صادق) :

— نعم .

الشاب :

— حسنًا .. هذا يتيح لنا التحدث في حرية .. أنا الرائد
(رفعت) ، من إدارة العمليات الخاصة .. ولقد أرسلني
اللواء (مراد) ، لتتفق معًا على تفاصيل خطة الغد .. ولقد
أحسنتم صنعًا بعدم قدومكم إلى الإدارة ، فلست أشك في أن
سارقكم يضعونكم تحت مراقبة دقيقة ؛ للتأكد من عدم
اتصالكم بالشرطة و

ارتفع فجأة رنين الهاتف ، فتطلع الدكتور (صادق) إلى
الرائد (رفعت) بنظرة قلقة ، متسائلة ، فأشار إليه هذا
الأخير بالتقاط سماعة الهاتف ، واقترب منه في سرعة ،
وألصق أذنه بالسماعة ، وسمع كلاهما صوتًا يقول :
— دكتور (صادق) .. هل حسمت أمرك بالنسبة لحقيبتك
الرمادية .

صمت الدكتور (صادق) لحظة ، وهو يتطلع إلى (رفعت)
في قلق ، فأوما هذا الأخير برأسه إيجابًا ، على حين قال صاحب
الصوت في خشونة :

— لم لا تحيب ؟ .. ألا تسمعني ؟

ازدرد الدكتور (صادق) لعابه ، وجفف عرقه ، وهو
يحيب في توثر :

— إنني أسمعك .. وسأنفذ كل أوامرك .

أجابه محدثه ، قائلاً :

— اترك سيارتك على مسافة عشرين مترًا ، من مدخل
الحديقة الدولية ، وأكمل المسافة سيرًا على الأقدام ، وتجوّل
داخل الحديقة كأى زائر عادى ، وأنت تحمل حقيبة سوداء ،
تخوى المبلغ المطلوب ، ودع لنا الباقي .

وقبل أن يطرح الدكتور (صادق) أية تساؤلات انتهت
المحادثة بغتة ، فقال (رفعت) في اهتمام :

— لقد سمعت كل شيء .. ستطيع أوامره ، وتسير وفقًا
لخطة ، وسنعمل على حمايتك ، أنا وعدد من رجالنا
متكّرين ، وبمجرد تسلمك الأوراق ، امنحنا إشارة خاصة ،
وسنهاجم هؤلاء الأوغاد ، ونعتقلهم على الفور .

غمغم الدكتور (صادق) في قلق :

— أرجو ألا يتسبب ذلك في تدمير الأبحاث .

ابتسم الرائد (رفعت) ، وهو يقول في لهجة مطمئنة :

— اطمئن يا دكتور (صادق) .. إننا خبراء في هذا

المجال ، ولا تنس أن خصوصنا مجرد لصوص عاديين ، أصابهم حسن الحظ في حادث سرقة عادى ، ومثل هؤلاء لا يملكون عادة الخبرة اللازمة .

ثم التقط سماعة الهاتف ، وهو يردف :

— والآن .. هل تسمح لى بثيت جهاز تصنت خاص في

هاتفك ، لتتابع كل اتصالاتهم بك ؟

غمغم الدكتور (صادق) :

— افعل ما تراه ضرورياً .

أدارت أصابع (رفعت) بوق سماعة الهاتف في مهارة ،

وانتزعت في خفة ، وهم هو بثيت جهاز التصنت ، إلا أنه لم

يلبث أن حدق في الجزء المفكوك في دهشة ، وهو يهتف :

— عجباً !! .. هناك جهاز آخر .

هتف الدكتور (صادق) في دُعر :

— جهاز تصنت آخر ؟ .. في هاتفى أنا ؟

غمغم (رفعت) في حيرة :

— ما الذى يدعوهم إلى وضع هذا الجهاز في هاتفك ؟ ..

ومتى فعلوا ذلك ؟ .. لقد وقعت السرقة مساء أمس ،

وعلمت أنت بها هذا الصباح ، واتصلت بنا فور ذلك ، ومن

المستحيل أن يكونوا قد وضعوا جهاز التصنت في أشياء

وجودك ، ولا من قبل ، ماداموا لم يكونوا يتوقعون الاستيلاء

على اختراعك .

وصمت لحظة مفكراً ، ثم أردف في حزم قلق :

— هذا الإجراء يحمل توقيع أحد أجهزة المخابرات

الأجنبية ، أو منظمة إجرامية دولية ، تسعى للحصول على سر

اختراعك .

اتسعت عينا الدكتور (صادق) في دُعر ، وهو يقول :

— وما العمل ؟ .. لا ريب أنهم قد علموا بكل ما حدث

من تفاصيل ، وقد يؤدى هذا إلى تدمير الاختراع !

رفعت :

— لست أظن ذلك .. إن الأمر يحتاج إلى مراجعة الموقف

في الإدارة ، ومع اللواء (مراد) .. ولو أدخلنا أية تعديلات

على الخطة ، فسنبلفك بها بأية وسيلة أخرى ، خلاف الهاتف .

ارتسمت التعاسة على وجه الدكتور (صادق) ،
وامتلأت أعماقه بتوثر بالغ ، وبصورة واحدة ..
صورة حقيقية رمادية ..
واختراع رهيب ..



٢ - الخدعة ..

انتقلت عينا حارس بوابة الحديقة الدولية بين زوارها في دقة وعناية ، وتطلّع لحظة إلى فتاة حسناء ، تسير أمام البوابة في ببطء ، وتطلّع إلى ساعتها ما بين الفينة والفينة ، وكأنها في انتظار موعد عاطفي هام ، ثم نقل بصره إلى سيارة زرقاء ، توقفت على بعد خمسين متراً من البوابة ، وبدخلها أربعة رجال مسلّحين ، يحملون أجهزة اللاسلكي .

وكان هؤلاء جميعاً من رجال المكتب رقم (١٩) ، وكان حارس البوابة هو نفسه الرائد (رفعت) ، الذي تنكّر في هذا الموقع بالذات ، ليراقب حقائب زوار الحديقة ، بحثاً عن الحقيبة الرمادية ، أو أية لفائف أخرى مثيرة للشبهات ..

ولمح الجميع سيارة الدكتور (صادق) ، وهي تتوقّف عند البقعة المتفق عليها ، ويهبط هو منها ، حاملاً حقيبته السوداء ، ويتجه نحو البوابة ..

وفجأة .. اعترضت طريقه سيارة نقل ضخمة ، حجبته



التقط الرجل حقيبة النقود ، وانطلقت به السيارة ، وهي تلقى خلفها بالحقيبة الرمادية ...

عن أنظارهم ، واندفعت بمحازاتها ، من جانبه ، سيارة سوداء صغيرة ، مغلقة النوافذ ، توقفت أمامه فجأة ، وبرزت من داخلها يد رجل ، يقول في صرامة :
— هات النقود .

غمغم الدكتور (صادق) في توثر ، وهو يحاول عبثاً تبين ملامح الرجل :

— وأين حقيبتى الرمادية ؟
هتف الرجل في خشونة صارمة :
— ستتسلمها بعد أن نتأكد من النقود .
وبسرعة .. التقط الرجل حقيبة النقود ، وانطلقت به السيارة ، وهي تلقى خلفها بالحقيبة الرمادية ، وسمع الدكتور (صادق) صوتاً يهتف في حزم :
— قفوا .

ثم انطلقت عدة أعيرة نارية في اتجاه السيارة ، التي راوغت ، وابتعدت في مهارة ، فهتف أحد رجال المكتب رقم (١٩) في حنق :
— لقد أفلتوا منا .

أجابه (رفعت) في حزم :

— ليس تمامًا .. لقد اتصلت بـ (ناصر) ومجموعته
لاسلكيًا ، وطلبت منهم اعتراض السيارة .
هفت الفتاة في حماس :

— لقد التقطت رقمها .. إنه (٢٧٠٣١٧) ملاكي
جيزة .
أعاد (رفعت) مسدسه إلى غمده ، وهو يقول في
هدوء :

— أراهنك أنها مسروقة ، وأنهم سيستبدلوننا بالطريق .
لم يبال الدكتور (صادق) بكل ما يدور حوله ، بل اندفع
نحو حقيبته الرمادية ، وراح يراجع محتوياتها في لهفة ، ثم لم يلبث
أن تنهد في ارتياح ، حينما وجد جهازه وأوراقه كاملة ، وتنفس
الصعداء في سعادة ، فسأله (رفعت) في اهتمام :

— أكل شيء على ما يرام ؟
أومأ الدكتور (صادق) برأسه إيجابًا ، فاستطرد
(رفعت) :

— لقد خدعنا هؤلاء الأوغاد ، حينما أوهمونا بأنهم
سيجرون المبادلة داخل الحديقة ، وليس خارجها ، ولكن كل
شيء سار كما يرام على أية حال .. انتظر في سيارتك يا دكتور
(صادق) ، حتى نأتي إليك .

اتجه الدكتور (صادق) إلى سيارته في سرعة ، وألقى
الحقيبة على المقعد الخلفي ، ثم أدار محرك السيارة ، وانطلق بها
على الفور ، فهتف (رفعت) في دهشة :

— يا إلهي !!.. لقد أطاررت الفرحة صواب الرجل .
لم يكذب عبارة ، حتى اتجه نحوه أحد زملائه ، وقال
مبتسمًا :

— لقد اتصل (ناصر) ، وقال إنهم ألقوا القبض على
أفراد العصابة ، بعد أن أصابوا أحدهم .
ارتسم الارتياح على وجه (رفعت) ، وهو يقول :

— رائع .. هكذا يكون كل شيء قد انتهى على أكمل
وجه .

هتف به زميل آخر في لهفة :

— اللواء (مراد) يطلبك لاسلكيًا يا سيادة الرائد .
أسرع (رفعت) نحو السيارة ، والتقط بوق جهاز
اللاسلكي ، وقال في فخر :

— لقد انتهى كل شيء على ما يرام يا سيدي .. تم إلقاء
القبض على العصابة ، واستعاد الدكتور (صادق) حقيبته ،
بكل ما تحويه و

قاطعه اللواء (مراد) في حدة :

— هذا مستحيل أيها الرائد .

أدهشت العبارة (رفعت) ، فغمغم في خيرة :

— ولكن هذا ما حدث بالفعل يا سيدي و

عاد اللواء (مراد) يقاطعه في حزم :

— أقول لك مستحيل يا (رفعت) .. فلقد قُتِلَ الدكتور

(صادق) في شقيقته .. قُتِلَ منذ خمس ساعات على الأقل ..



٣ — سرُّ الاختراع ..

انطلق المقدم (ممدوح عبد الوهاب) إلى منزله مباشرة ، فور عودته من جمهورية (سيدوراس) ، بعد قضائه على (الأخطبوط) ، زعيم تجارة المخدرات في العالم^(*) ، وهو يحلم بالحصول على حمام دافئ ، يزيل عن جسده كل ما يملؤه من إرهاق .. لذا فقد كان أول ما فعله ، فور وصوله إلى شقيقته ، هو ملء حوض الاستحمام الصغير بالماء الدافئ .. ولكنه لم يكد يبدأ في خلع ملابسه ، حتى ارتفع رنين الهاتف في الردهة ، فأسرع إليه ، والتقط سماعته ، وهو يقول في ضيق :

— من المتحدث ؟

أتاه صوت مميز يقول :

— حمداً لله على سلامتكَ يا (ممدوح) .

استيقظت حواسه كلها ، وهو يعتدل قائلاً :

(*) راجع قصة (ذراع الأخطبوط) .. المغامرة رقم (٣٧) .

— شكراً يا سيدي .. لقد أعددت تقريراً كاملاً عن
عملية (الأخطبوط) ، سأوافيك به غداً في الإدارة بإذن
الله .. و

قاطع اللواء (مراد) في لهجة حاسمة :

— سأنتظرك في مكتبي ، خلال ساعة على الأكثر
يا (ممدوح) .

لم يسأله (ممدوح) عن سر ذلك الاستدعاء العاجل ، ولم
يبد أي تبرم أو ضيق ، وإنما تصرف شأن أي رجل مدرب في
دقة ، ولم يزد انفعاله على كلمتين :

— على الفور يا سيدي .

ولقد صدق ..

نهض اللواء (مراد) يصافح (ممدوح) ، وهو يتسهم
قائلاً :

— لقد أحرزت نجاحاً يستحق الإشادة ، في عملية (ذراع
الأخطبوط) يا (ممدوح) .

غمغم (ممدوح) في تواضع :

— لم أؤد سوى واجبي يا سيدي .

تألفت نظرة إعجاب في عيني اللواء (مراد) ، وهو
يقول :

— إن إدارتنا لتفخر برجل مثلك ، يعمل وسط صفوفها .
ثم جلس ، ودعا (ممدوح) للجلوس ، وهو يستطرد :
— يؤسفني بالطبع أنني لم أدعك تحصل على قدر من
الراحة ، على الرغم من عودتك تَوَّاً من عملية مرهقة ، ولكن
لديّ عملية بالغة الأهمية والخطورة ، لن يصلح لها سواك .
ابتسم (ممدوح) قائلاً :

— العمل وحده يزيل عني الشعور بمتاعب العمل
يا سيدي .

اللواء (مراد) :

— حسناً .. هل تعرف الدكتور (صادق) ، عالم الطاقة
الذرية المصري ؟ .. لقد اخترع هذا الرجل جهازاً صغيراً ،
يمكنه اختزان جرعات إشعاعية عالية ، تستطيع تفتيت
جزيئات المعادن ، أيّا كانت صلابتها ، أو نوعيتها ،
أو أحجامها ، وعلى النحو الذي يحدده كمبيوتر صغير داخل
الجهاز ، ولتوضيح الصورة أكثر ، حاول أن تتصور تلك
الخزانة الفولاذية ، إلى جوار مكتبك ، وقد حوّلها شعاع صغير
إلى كومة من الرماد ، بطلقة واحدة .

رفع (ممدوح) حاجيه في دهشة ، وهو يهتف :
— مذهل ؟!

استطرد اللواء (مراد) :

— لقد استغرق صديقي الدكتور (صادق) سنوات طويلة ، حتى توصل إلى ذلك الاختراع ، الذي كان يهدف إلى إحداث ثورة تكنولوجية هائلة ، في إعادة تشكيل المعادن ، دون الحاجة إلى صهرها ، أو ضغطها ، أو طرقها ، مما يهبط بالتكلفة إلى العشر ، وخاصة بالنسبة لصناعات الحديد والصلب ، والصناعات الثقيلة ، حيث يمكن تقطيع المعادن على النحو المطلوب ، وإعادة تشكيلها ، بواسطة الجهاز فحسب ، وفي وقت بالغ القصر .. ثم إن الجهاز يمكن استخدامه كسلاح عسكري رهيب ، يمكنه تفتيت مئات الدبابات والمدافع والطائرات ، وتحويلها إلى ذرات ، في غمضة عين .

استمع (ممدوح) إلى رئيسه مأخوذاً ، وقد هاله ذلك التصور ، وتلك النتائج الرهيبة ، التي يمكن أن تتولد عن استخدام هذا الاختراع ، على حين تابع اللواء (مراد) حديثه :

— المشكلة الآن هي أن الجهاز التجريبي ، وكل أوراق الاختراع ، قد أصبحت الآن في أيدي أجنبية ، تضرر لنا الشر .. كل الشر .

ثم قصَّ عليه ما حدث بالتفصيل ، منذ استولى اللصوص على اختراع الدكتور (صادق) ، وحتى تلك الخدعة الرهيبة ، التي انتحل خلالها شخص ماهية الدكتور ، بعد قتله ، واستمع إليه (ممدوح) في انتباه شديد ، وهو يردف :
— ما لم نحسب حسابه ، هو أن شخصاً آخر ، أكثر خطورة ، كان يسعى خلف الاختراع ، ألا وهو المجرم العتيد (ماكس) ، الذي يرأس تنظيمًا إجراميًا عاتياً ، يمارس عدة أنشطة غير مشروعة ، مثل تجارة الأسلحة ، وسرقة الأسرار العلمية ، وبيعها لمن يدفع أكبر ثمن ، و (ماكس) هذا يأتي على قائمة المطلوب إلقاء القبض عليهم ، في (الإنتربول) العالمي .. ولقد نجح في معرفة أمر السرقة ، بواسطة جهاز تصنّت خاص ، ثم قام بقتل الدكتور (صادق) — رحمه الله — وتكبر في هيئته ، وخدع رجالنا ، وحصل على الاختراع برغم أنوفهم ، وفر خارج البلاد .
ممدوح :

— أليس هناك ما يشير إلى وجهته ؟

اللواء (مراد) :

— تشير تقارير (الإنتربول) إلى أنه يتخذ مخبأه في (بيروت) ، مع أفراد عصابته ، مستغلاً حالة الفوضى هناك ، منذ اندلاع الحرب الأهلية .. وأغلب الظن أنه سيبدأ في مساومة إحدى الدول على شراء اختراعنا ، مقابل قن باهظ ، وعلينا أن نبذل أقصى جهدنا لاستعادة الاختراع ، قبل أن يصل إلى أيدي العلماء المتخصصين في الدول الأخرى .

سأله (ممدوح) في حماس :

— هل أسافر إلى (بيروت) غداً ؟

صمت اللواء (مراد) لحظة ، ثم أجاب في جزم :

— الليلة .. الليلة تبدأ اللعبة ..

٤ — لعبة القط والفأر ..

أدرك (ممدوح) ، منذ وصوله إلى (بيروت) ، في ساعة متأخرة من الليل ، أنه إنما يلقي بنفسه في أثون ملتهب ، فدوى الرصاصات لا ينقطع ليلاً ونهاراً ، والحرب بين الميليشيات المختلفة تشيع جواً من الدُعر والتوتر .. لا مثيل له ، ولكنه لم يأبه بكل ذلك ، فقد اتخذ لنفسه مهنة جعلت المغامرة جزءاً من عمله ، لا يمكنه الاستغناء عنها .. ولقد عقد العزم على العودة إلى (القاهرة) بالاختراع ، مهما واجهه من تحديات ..

وبينما كان يسير إلى جوار أحد المباني المهجورة ، في شارع (الحمراء) ، اقتربت منه سيارة خضراء ، هتف به قائدها :

— أنت المقدم (ممدوح عبد الوهاب) ؟

التفت إليه (ممدوح) ، وتأمل وجهه البدين ، ذا المنظار الطبي ، وهو يسأله في خيرة :

— من أنت ؟ .. وماذا تريد مني ؟

أجابه الرجل ، وهو يفتح باب سيارته :

— هيا .. اركب .. سأشرح لك كل شيء في الطريق .
دلف (ممدوح) إلى السيارة ، التي انطلقت بهما عبر
الطريق الممتد وسط العاصمة ، وسأل (ممدوح) الرجل في
صرامة :

— والآن من أنت ؟ .. وكيف تسنى لك معرفة اسمي ؟
أجابه الرجل في هدوء مشوب بالمرارة :
— اسمي (بشارة الطويل) ، رئيس الشرطة بالمدينة ،
وكان المفروض أن أستقبلك بالمطار ، ولكن ظروفًا خارجية
حالت بيني وبين ذلك ، ومن حسن الحظ أن عثرت عليك ،
ففي أيامنا هذه من المدهش أن تجد من تبحث عنه ، دون
رصاصة في رأسه ..
وصمت لحظة ، ثم أضاف ، وهو يشير إلى البنايات من
حوله :

— لقد صارت الأبنية قلاعًا للموت ، والقناصة يملئون
كل ركن فيها .

تركه (ممدوح) يواصل حديثه ، وهو يضيف :
— لقد كلفتني الحكومة مساعدتك ، على الوصول إلى
مقر أحد التنظيمات الإجرامية ، التي تستغل الحرب الأهلية ،



التفت إليه (ممدوح) ، وتأمل وجهه البدين ، ذا المنظار الطبي ، وهو
يسأله في حيرة : — من أنت ؟ .. ومذا تريد مني ؟

لاتخاذ (بيروت) مخبأ لها ، ولست أملك لك في الواقع مساعدة قيّمة ، فالمعلومات التي لدى محدودة ، ثم أن لدينا تعليمات مشدّدة بالابتعاد عن مناطق صراعات الميليشيات ، وكل ما أعلمه هو أن الشخص ، الذي تبحث عنه ، يقطن هنا .

وأشار بسبّابته إلى دائرة حمراء ، تحدّد موقعاً ما فوق خريطة مطبوعة ، وتابع :

— إن معلوماتي ، غير المؤكّدة ، وغير المحدودة ، تشير إلى أن (ماكس) وعصابته يختفون هنا ، ولست أملك أن أقدم لك مزيداً من المساعدة ، فتلك البقعة ، التي تنوى اقتحامها ، هي بؤرة الصراعات هنا ، ولولا الاتصالات بين دولتنا ، ما خاطرت حتى بالقدوم إليك .. فلقد باتت التنظيمات المسلّحة تحكم المدينة ، وصيرت أنا ورجالي المائتان لا نساوي شيئاً .

رَبَّت (ممدوح) على كفه ، قائلاً :

— لن تظل الأمور على هذا النحو طويلاً ، ستستعيد سلطاتك الفعلية بالتأكيد ، مع عودة السلام إلى المدينة .
تطلّع إليه رئيس الشرطة بُرْهة في صمت ، ثم قال :

— كم يدهشني أن يرسلوا مصرّياً مثلك ، للبحث عن مجرم دولي ، فشلت الشرطة الدّوليّة في الإيقاع به ، داخل مدينة الرُّعب هذه .

ابتسم (ممدوح) ، الذي يعلم أن حقيقة مهمّته لم تكشف فعلياً ، وقال في هدوء :

— فلتقل إنها محاولة للإسهام في تطهير (بيروت) من أحد الأبالسة ، الذين يقطنونها .

ابتسم رئيس الشرطة بدوْره ، قائلاً :

— لا ريب أنك تتمتع بقدر لا بأس به من الشجاعة ، ليصل بك الأمر إلى اقتحام وكر الأبالسة ، وأنت تحمل هذه الابتسامة على شفّيتك .

ثم أوقف السيارة أمام إحدى دور السينما المهْدَمة ، وقال :
— أدعو الله أن يحفظك ويوفّقك في مهمتك .. فلسوف تبدأ اعتمادك التام على نفسك ، منذ هذه اللحظة .

غادر (ممدوح) السيّارة ، وهو يقول في هدوء :
— شكراً على مساعدتك .. هل تسمح لي بالاحتفاظ بالخرطة ؟

رئيس الشرطة :

— بالطبع ، وإذا ما قدّر لك الخروج من هنا حيّاً ، يمكنك

الاتصال بي ، أو الحضور إلى مكنتي ، في إدارة الأمن العام ،
للحصول على أية مساعدات .

غمغم (ممدوح) في هدوء :

— سأذكر ذلك .. شكرًا لك .

وأغلق باب السيارة في حزم ...

استعان (ممدوح) بالخريطة ، ليشق طريقه إلى تلك البقعة ،
المميزة فوقها بدائرة حمراء ، وتُحِيل إليه أنه قد ضلَّ طريقه ،
بين عدد من الأزقة الضيقة ، والمباني المتهدمة ، في منطقة
مقفرة ، ويُخَيِّم عليها سكون تام ، يبعث الرهبة في النفس ..
ثم انطلقت فجأة رصاصة ، عبرت بين ساقيه ، وألقى
نفسه — برد فعل سريع — خلف عدد من صناديق القمامة ،
إلى جوار حائط مهديم ، وسمع ضحكة ساخرة تجلجل في
المكان ، ثم أعقبها دوي رصاصة أطار غطاء صناديق القمامة ،
فقفز منه فأر فزع ، حاول الفرار مستترًا بالجدار ، ولكن
رصاصة ثالثة أردته قتيلاً ، وانبعثت معها نفس الضحكات
الساخرة المجلجلة ، فغمغم (ممدوح) :

— إنه قناص بارع ولا شك ، فلقد أصاب هدفه على نحو
يدعو للإعجاب .

جعله هذا يدرك أن القناص كان يستطيع قتله من الرصاصة
الأولى ، إلا أنه فضل أن يلعب معه لعبة القط والفأر أولاً ،
فيداعبه ، ويشير دُعره بعض الوقت ، قبل أن يرديه قتيلاً ، وهو
يتصور أنه يواجه خصمًا عاديًا ، ساقه إليه القدر ؛ لينفض عن
نفسه الملل ، وليؤكد براعته في إصابة الأهداف ..

وقرر (ممدوح) أن يعتمد على ذلك ، ويستغل غرور
خصمه لهزيمته ، فأخرج من جيبه قبلة دُخان صغيرة ، نزع
فتيلها ، وأخفاها في راحته ، ثم نهض من مكمنه ، وتقدم في
جُرأة نحو المبنى ، الذي يتخذ القناص مخبأ له .

كانت المخاطرة غير عادية ، فلقد راح القناص يطلق
رصاصاته على جانبي (ممدوح) ، وفوق رأسه ،
و (ممدوح) يعتمد على خبرته في التعامل مع مثل هذا الخصم ،
وهو واثق من أن خصمه لن يقتله ، قبل أن يلمح أمارات
الرعب والفزع في وجهه ..

وفجأة .. ألقى (ممدوح) قبيلته الدُخانية نحو المبنى ،
وارتفعت سحابة الدُخان ، وانطلق هو يعدو ..

وأخيرًا .. أدرك القناص حُطَّة خصمه ، فتخلَّى عن لعبة
القط والفأر ، وأطلق النار على هدفه مباشرة ..

٥ - صاعقة من السماء ..

كان لقبلة الدخان أثر حاسم في تلك المعركة ، فلقد طاشت رصاصات القناص عن الهدف ، على الرغم منه ، هذه المرة ، وسرعان ما قفز (مدوح) فوق سطح المبنى القصير ، وانقضَّ على خصمه كصاعقة من السماء ، وسقط الرجلان أرضاً ، وطارت البندقية الآلية بعيداً ، وقفز القناص محاولاً التقاط بندقيته مرة أخرى ، إلا أن (مدوح) أطارها بركلة من قدمه ، وهو يقول :

— فلنر ما إذا كنت تساوى شيئاً بدون سلاحك .

قفز القناص على قدمه ، واندفع نحو (مدوح) ، وهو يضم قبضتيه ليلكمه ، ولكن (مدوح) تفادى لكماته في براعة وخفة ، دون أن يبادله القتال ، فضمَّ الرجل قبضته في عنف ، وأطلقها نحو (مدوح) في لكمة أودعها كل قوته ، ولكن (مدوح) تلقاها على ساعده ، وعاجل خصمه بلكمة كالصاعقة ، ألقت أرضاً ، فجئن جنونه ، وعاد يقفز واقفاً ،

وهو ينتزع من حزامه مذبذبة حادة ، انقضَّ بها على (مدوح) ، الذي عاجله بركلة قوية ، أطارت المذبذبة ، ثم قفز ليمتحمه أخرى ساحقة ، جعلته يدور حول نفسه ، وقد أدرك أن خصمه ليس رجلاً عادياً هذه المرة ، بل محترفاً حقيقياً ، فتراجع في ذعر ، محاولاً الفرار ..

وفجأة .. تعالى هدير محرك سيارة تقترب ، ورأى (مدوح) سيارة عسكرية ، من نوع (الجيب) ، تنطلق نحوه ، مختربة الزقاق الضيق ، وأحد ركبائها يطلق رصاصات مدفعه الآلي نحوه ، على حين تهللت أسارير القناص ، الذي اندفع نحو السيارة ، وراح يلوح لركبائها بذراعيه ، إلا أن حظه السيئ رفض أن يتخلَّى عنه ، فتعثر فجأة ، وسقط أمام عجلات السيارة ، وصرخ أحد ركبائها ، محاولاً تحذير قائدها ، إلا أن هذا الأخير عجز عن التوقف ، إلا بعد أن دهست عجلات السيارة الرجل بالفعل ..

وكانت فرصة نادرة لـ (مدوح) ، فقفز متعلقاً بحافة إحدى اللوحات الإعلانية ، ودار حول نفسه في مهارة يحسده عليها لاعبو السيرك ، ثم عاد يتقمص دور الصاعقة ، ويقفز منقضاً على (الجيب) ، ليهبط في المقعد الخلفي منها .



وكانت فرصة نادرة لـ (ممدوح) ، فقفز متعلقًا بحافة إحدى اللوحات الإعلانية ..

واستدار راكبا (الجيب) لمواجهة ذلك الخصم العجيب ،
إلا أنهما تلقيا سيلاً لا بأس به من الركلات واللكمات ، لم ينته
إلا وقد تجردا من سلاحيهما ، و (ممدوح) يصوب إليهما
مسدساً ، من المقعد الخلفي للسيارة ، ويبتسم قائلاً في
هدوء :

— لقد حرمتاني فرصة تعرف صديقكما أيها السيدان ،
بعد أن قتلتماه بتهور كما .. فما رأيكما أن نجري ذلك التعارف
فيما بيننا .. اسمي (ممدوح عبد الوهاب) ، ومهمتي هي
تنظيف الطرقات من القتل والأوغاد من أمثالكما .
أجابه أحدهما في حنق :

— هذه المهنة لا تعمّر طويلاً في المنطقة ، ومن الأفضل لك
أن تستبدلها بأخرى مأمونة ، في منطقة أخرى ، مكتفياً بما
أحرزته من بطولات هنا .
أجابه (ممدوح) متهمكماً :

— شكراً لنصيحتك ، ويؤسفني أن أتجاهلها ، فطموحي
يدفعني إلى طلب المزيد من البطولات هنا .
قال الآخر في حدة :

— اسمع يا هذا .. إننا ننتمي إلى ميليشيا (لواء الثورة) ،
وهذه المنطقة تخضع لنفوذنا .

مدوح :

— لقد اشترىتموها بالرصاصات .. أليس كذلك ؟
أجابه الأول في خشونة :

— وما شأنك ؟ .. أتبع ميليشيا (الترابط) المعادية ؟
مدوح :

— أنا الذى يطرح الأسئلة لا أنت .. ما صلة ميليشياتكما
بعضابة (ماكس) ؟

عاد الرجل يقول في خشونة :

— بأى حقٍّ توجه إلينا هذه الأسئلة ؟

جذب (مدوح) إبرة المسدس ، وهو يقول في صرامة ،
مشيرًا إلى المسدس :

— بهذا الحق .

أجابه الآخر في كلمات مرتعشة :

— إن (ماكس) يبيع لنا الأسلحة ، ضمن عدد من تجار
الأسلحة الآخرين .

ابتسم (مدوح) ، قائلاً للأول :

— رأيت كيف أن زميلك أكثر حكمة ؟

ثم عاد يلتفت إلى الآخر ، مستطردًا :

— ومقابل ذلك توفرون له وكرًا داخل منطقة نفوذكم ..
أليس كذلك ؟

ازدرد الرجل لعابه ، مغمغمًا :

— بلى .

مدوح :

— بقى سؤال أخير .. أين هذا الوكر ؟

تردد الرجل ، وهو يغمغم :

— لا يمكننى أن أخبرك .. سيفضب ذلك قائدنا .. فلقد

تعهد لـ (ماكس) بالألا يعلم أحد بمخبئه ، طوال إقامته في
(بيروت) .

قال (مدوح) في صرامة :

— وسيفضبنى أيضًا ، حتى أنك لن تكون موجودًا ، حينما

يمتدح قائدك صلابتك .

هتف الرجل الأول في جدّة :

— لا تأبه لتهديداته .. أنت تعلم أن (منذر) لا يغفر لمن

يخالف تعليماته أبدًا و

هوى (مدوح) على رأسه فجأة بضربة قوية ، أخرسته ،
وألقته فاقد الوعي ، ثم التفت إلى الآخر ، وقال في صرامة :
— أرايت ماذا أفعل بمن يخالف تعليماتي ؟ .. إنها مجرد عينة
بسيطة ، وبعدها سأطلق النار على الرأس مباشرة .

أجابه الرجل في سرعة :

— إنه يتخذ من مصنع الثلج القديم مقرًا له ، ولعصابته .

مدوح :

— حسنًا .. أدر وجهك إلى الطريق ، وضع يديك على

عجلة القيادة .

سأله الرجل في دُعر :

— ماذا ستفعل بي ؟

مدوح :

— أطع ما أمرك به دون مناقشة .

أطاع الرجل في رُغب ، فهوى (مدوح) على مؤخرة

عنقه بضربة قوية ، أفقدته الوعي ، ثم ألقاه وزميله خارج

السيارة ، وانطلق هو بها ..

نحو مصنع الثلج القديم ..

٦ — مصنع الثلج ..

لم يكد (مدوح) يتعد بالسيارة ، حتى نهض أحد
الرجلين ، وجرّ قدميه جرًّا إلى مبنى مجاور ، انتزع من خلف بابه
جهازًا لاسلكيًا ، وقال غبره :

— من (رعد) إلى (عاصف) .. لقد استولى غريب على
سيارتنا في القطاع الرابع ، وهو في طريقه إلى المصنع ، بحثًا عن
(ماكس) .. أوقفوه قبل أن يفعل ، وأبلغوا القائد أن
(سيف) هو الذى وشى به .

جاءه الرد في حزم :

— عَلم ، ومنفذ ..

في نفس اللحظة كان (مدوح) ينطلق نحو المصنع ، اعتمادًا
على خريطته ، إلا أنه لم يلبث أن توقّف ، حينما اعترضت طريقه
عدة براميل معدنية ، تسدّ الطريق ، وارتفع في الوقت ذاته صفير
من مبنى صغير ، مكّون من طابقين ، وبرز من أعلاه رجل
أشعث ، كُتّ اللحية ، ابتسم قائلاً في سخرية :

— هنا تنتهى رحلتك يا صديقى .. نَحْذُ هذه الهدية ، مع خالص تحياتى .

وألقى قبلة يدوية ، منزوعة الفتيل ، نحو (ممدوح) ..
وبأقصى ما يملك من سرعة ، قفز (ممدوح) من السيارة ،
واحتمى بالبراميل المعدنية ، ودوى الانفجار ، وأسقط بعض
البراميل فوقه ، ولكنه تحمل آلامه ، ودفعها بعيدا ، ورأى
ذلك الأشعث ذا اللحية ، يتزع فتيل قبلة أخرى ، ليلقيها
نحوه ، فعاجله برصاصة قاتلة ، أسقطت الرجل ، وجعلت
قبلته تنسفه ، وتطيح بجزء كبير من المبنى الصغير فى الوقت
ذاته .. فهض (ممدوح) لينفض التراب من جسمه ، إلا أنه
فوجئ بعدد من راكبي الدراجات البخارية يبرز فجأة ،
ويدور حوله فى سرعة ، فى محاولة لإثارة فزعهم ، فبقى ثابتا فى
مكانه ، والحلقة تضيق من حوله ، وأخرج كل راكب
خنجره ، وراح يمزق به جزءا من ثيابه ، استعدادا لطعنه بلا
رحمة ، إذا ما فكر فى الهرب أو المقاومة ..

وكان عليه أن يستخدم ذلك المنظار الشمسى الأسود ،
الذى زوّده به قسم الاختراعات بالإدارة ، وهو أحدث
ابتكارات الدكتور (سعيد) ، لما له من مزايا قتالية أخرى ،

بالإضافة إلى قيمته كمنظار شمس حديث الطراز .. ولكن
المشكلة هى كيفية الوصول إليه ، دون إثارة انتباه راكبي
الدراجات البخارية ، فالمنظار يقبع فى جيبه العلوى ، وقد
يقتلونه إذا ما مَدَّ يده نحوه ..

وتعثر متعمدا ، وسط ضحكاتهم الساخرة ، وهو يتظاهر
بالدعر من خناجرهم ، وبخفة وسرعة ، التقط المنظار من
جيبه ، ثم اعتدل واقفا ، وثنى ذراعى المنظار فى حركة مباغتة ،
جاءلا عدسيته فى وجه أحدهم ، فتغير لون العدستين بغتة إلى
الأصفر ، وتوهجتا بوميض مُبهر ، أصاب راكب الدراجة
بعمى مؤقت ، ففقد توازنه ، واصطدم بدراجتين أخريين ،
وسقط الثلاثة أرضا ، وسط حالة من الفوضى والدهشة ، مما
منح (ممدوح) الفرصة لينتزع أحدهم من فوق دراجته ،
ويلقى به فوق زملائه على الأرض ، ثم يقفز فوق الدراجة ،
ويعيد إليها توازنها فى مهارة ، فاعترض طريقه رجلان ، رفع
أحدهما مسدسا فى وجهه ، وهو يقول فى غضب :

— ستدفع ثمن ذلك .

ولكن (ممدوح) لوى مقود الدراجة فى قوة ، فرفع
إطارها الأمامى عن الأرض ، وأدار محركها دفعة واحدة فى



قوة ، فقفزت درّاجته في وثبة بهلوانية فوق الرجلين ، اللذين أصابهما الدهول ، ثم تداركا نفسيهما ، واستدارا لمواجهة (ممدوح) ، الذي انتزع مسدسه ، وأطلق منه رصاصة مُحْكَمَةً ، أصابت يد خصمه ، وأطارت مسدسه ، وهو يقول :

— معذرة أيها السادة ، ليس لدى ما يكفي من الوقت لألهو معكم .

ثم انطلق بدرّاجته مبتعدًا ، وهتف أحد الرجال في حنق :

— إنه شيطان ؟ .. هل سنخبر القائد بفراره منا ؟

أجابه آخر في توتر :

— إنه سيثور علينا ولا شك ، من الأفضل أن نسرع بالاتصال بـ (ماكس) وعصابته ، فقد ينجحون في التخلص من ذلك الشيطان ، قبل أن يعلم الزعيم .. هيا .

ولكن (ممدوح) كان الأسبق ، في الوصول إلى المصنع .. ولقد دفع بابه الخارجي ، فأحدث صريرًا عاليًا ، وتقدّم بحذر وسط الآلات ، التي يعلوها الصدا ، والتي ألقيت في إهمال ، في ساحة المصنع ، وقد بدأ الظلام يُرْخِي سُدُولَهُ ، مما دعاه إلى تحسُّس طريقه إلى الداخل ، معتمدًا على حواسه الأخرى ..

فقفزت درّاجته في وثبة بهلوانية فوق الرجلين ، اللذين أصابهما الدهول ..

وفجأة .. غمره شعاع من الضوء ، والتصقت فوهة
مسدس باردة بظهره ، وسمع صوتًا غليظًا يقول :

— ارفع يديك فوق رأسك ..
وكان صوت أحد رجال (ماكس) ..



٧ — لقاء الشيطان ..

سار (ممدوح) أمام الرجل في استسلام ، حتى توقف أمام
باب معدني ضخم ، وصاح الرجل :

— افتح الباب يا (كلاوس) ..

فُتِحَ الباب المعدني في هدوء ، وظهر من خلفه رجل ضخم
الجلثة ، أشبه بالملاكمين ، سلط ضوء مصباح يدوي على
وجهيهما ، ثم هتف في دهشة ، وهو يحدق في وجهه
(ممدوح) :

— من هذا ؟

أجابه زميله في استخفاف :

— لقد عثرت عليه يخوم حول المكان .

ثم دفع (ممدوح) في حدة ، مستطرًا :

— ادخل .

عبر (ممدوح) الباب مع الرجل ، واجتازا ممرًا ضيقًا
خلفه ، وسمع ذلك الشبيه بالملاكمين يهمس قائلاً :

— ربّما كان من أتباع (منذر) .

أجابه الآخر في تهكم :

— كلاً .. إنني أعرف رجال (منذر) كلهم ، ثم إن

(منذر) نفسه حدّثنا من غريب يسعى خلف (ماكس) ،

وأعتقد أنه هذا الرجل ، وأظن أن (ماكس) سيقدرني

كثيراً ، إذا ما أعطيته هذه الذبابة ليسحقها .

اجتاز الثلاثة الممرّ إلى زدهة واسعة ، تتوسطها مائدة

(بلياردو) ، التّف حولها ثلاثة رجال ، استغرقوا في اللّعب

بعصيّهم الطويلة ، ولقد توقّف أحدهم ، ليقول في سخرية :

— من أين جئت بهذا الشخص ؟ .. أتفكر في المراهنة به ،

بعد خسارتك الكبيرة أمس ؟

تجاهل المسلّح قوله ، وهو يسأله :

— أين (ماكس) ؟

أجابه اللاعب متهمّاً :

— في الطابق العلوى ، ولكن ثق أنه لن يزيد راتبك

لإحضارك كل متسكّع تلقاه .

ابتسم (ممدوح) ، وقال للرجل محاولاً استفزازه :

— لو أنك تهزم الجميع في (البلياردو) ، فهذا لأنك لم

تلق بعد منافسك الحقيقى ، ولو تحدّيتك أنا ، فسأهزمك في
سهولة .

تبدّلت ملامح الرجل ، واكتست بحُمْرة الغضب ، ثم دفع

إحدى عصيّ (البلياردو) نحو (ممدوح) ، قائلاً في غضب :

— حسناً .. دعنا نرى براعتك .

صاح فيه المسلّح في حنق :

— كفّ عن حماقاتك يا (ستوك) .. ينبغي إخبار

(ماكس) بأمر هذا الرجل على الفور .

هتف (ستوك) في خشونة ، وقد احتقن وجهه غضباً :

— لن يضير (ماكس) أن ينتظر ، حتى ألْقن ذلك التافه

المغرور درساً في (البلياردو) ، وآخر في الملاكمة .

اعترض المسلّح ، قائلاً :

— دَعك من هذا الـ....

قاطعه أحد الآخرين ، قائلاً :

— دَعك أنت من هذه الاحتجاجات يا (روود) وكفّ

عن الالتزام السخيف بالقواعد ، وامنحنا فرصة اللّهُو بالصّيد

مرّة ، قبل أن تسلّمه إلى (ماكس) .. إنه لن يفرّ على أيّة

حال .

وضحك الثالث ، قائلاً :

— من يدخل إلى هنا عنوة ، لا يخرج أبداً .

التقط (ممدوح) عصا (البلياردو) في هدوء ، واختار لنفسه ركناً أمام المائدة ، فتحرك المسلح نحوه في تردد ، إلا أن أحد زملائه أوقفه قائلاً :

— قليلاً من المرح يا (روود) .

رضخ الرجل إزاء إصرار زملائه ، ولكنه ظل متشبثاً بمسدسه ، وعيناه لا تفارقان (ممدوح) ، على حين التف الآخرون حول المائدة ، وشاهدوا (ستوك) ، وهو يضرب الكرة بطرف عصاه ، فتدفع نحو كرتين أخريين ، وتصطدم بهما ، فتدحرج إحداهما ، وتوقف أمام فتحة صغيرة في ركن المائدة ، فانحنى (ممدوح) ، وضرب كرتيه في دقة ومهارة وهدوء ، فاندفعت ترتطم بثلاث كرات ، وتلقى اثنتين منهما داخل تجويفين في الأركان ، فغمغم أحد المحيطين بالمائدة ضاحكاً :

— حذار يا (ستوك) .. إنه يبدو بارعاً بالفعل .

هتف (ستوك) في عصبية :

— إننى لم أقل كلمتى بعد .

ثم دفع كرتيه بعصاه ، ولكنها طاشت بعيداً ، على حين استعذ (ممدوح) للعب دوره ، وهو يقول في سخرية :

— ما زلت تحتاج إلى مزيد من التدريب .

تقلصت ملامح (ستوك) ، وهو يهتف في غضب عصبى :

— كُف عن سخريتك ، وإلا حطمت عنقك .

اعتدل (ممدوح) ، قائلاً في هدوء :

— حسنًا أيها السادة .. سأكف عن السخرية ، وعن

اللعب أيضاً ..

وفجأة .. بدأ القتال ..

فجأة .. دار (ممدوح) حول نفسه ، وهوى بعصا (البلياردو) على يد الرجل الواقف خلفه ، بضربة مباغتة عنيفة ، أطارت مسدسه من يده ، وجعلته يطلق نصف صرخة ألم ، إذ هوت ضربة أخرى قوية على صدغه ، خنقت الصرخة الثانية في حلقه ، وهو يهوى فوق أحد المقاعد ، فيهشمه ، ويهوى به أرضاً ..

وتحرك الآخرون في سرعة ، وكان نصيبهم سيلاً من اللكمات والضربات ، قبل أن تتحطم العصا على رأس

(ستوك) .. ولكن أحدهم تناول عصا أخرى ، وهوى بها على ظهر (ممدوح) في عنف ، فاستدار لمواجهة ، ولكنه تلقى ضربة أخرى في وجهه ، ألقيه فوق مائدة اللعب ، وأراد الرجل أن يتبعها بثالثة ، إلا أن (ممدوح) قفز جانباً ، وترك العصا تهشم على المائدة ، ثم قفز منها ، وضَمَّ قبضتيه ، وهوى بهما على رأس خصمه ، ولكنه فوجئ بأخر يسد له لكمة عنيفة ، احتملها في بسالة ، ليعيدها إليه أشد عنفاً ، على نحو ألقاه أرضاً ، فاندفع ثالث رافعاً عصا (البلياردو) عاليًا ، ومستعداً ليهوى بها على رأس (ممدوح) ، الذي تلقى الضربة براحتيه ، ورقد على ظهره فوق مائدة اللعب ، ودفع قدميه في صدر الرجل ، ورفعها عاليًا ، وألقى به خلفه في قوة .. ولم يكد (ممدوح) يقف على قدميه ، حتى رأى (روود) يصوب إليه مسدسه ، هاتفاً :

— لا جدوى من المقاومة .. حركة أخرى إضافية ، وأفرغ رصاصات مسدسي في جسدك ..

تسمر (ممدوح) في مكانه ، ونهض الرجال مترنحين ، من أثر ما ألحقه بهم ، وكان (ستوك) أكثرهم غضبًا وحنقًا ، وشعورًا بالمهانة ، فانزع مُدتيه ، وأبرز نصلها بضغطة على زر صغير ، وضغط أسنانه في غضب ، وهو يقول :

— ابتعد يا (روود) .. لقد أصبح هذا الوغد يخصني .
احتد (روود) ، قائلاً :

— كفى يا (ستوك) .. كل هذا بسبب حماقتك ..
سأسلمه إلى (ماكس) ، ليقرر هو أمره .
عض (ستوك) شفتيه غيظًا ، وهو يقترب من (ممدوح) ، قائلاً في عناد :

— فليسلمه (ماكس) بوجه مشوه .
ثم هتف بزميليه :

— قيده .

اندفع الرجلان يشلان حركة ذراعي (ممدوح) ، وهما يلقيانه على ظهره ، فوق مائدة (البلياردو) ، على حين اقترب منه (ستوك) ، وهو يحمل مُدتيه ، قائلاً في شماتة :

— سأترك في وجهك تذكارة صغيرة أيها الوسيم ، يذكرك دومًا بمبارتينا .

عاد (روود) يصرخ غاضبًا :

— حذار يا (ستوك) .. لن يروق هذا لـ (ماكس) ..
إنه لا يحب أن يفعل أيًا شيئًا دون أوامره .
وفجأة .. دوت رصاصة في المكان ، وسقط (ستوك)



على وجهه ، والدماء تنزف من رأسه في غزارة ، فتطلع
(ممدوح) إلى جثته في دهشة ، وتصوّر لحظة أن (روود) هو
قاتله ، لولا أن سمع صوتًا مختلفًا يقول في صرامة :

— صدقت يا (روود) .. إننى أكسره من يخالف
أوامرى ، وهذا جزاء من يفعل .

تخلّى الرجلان عن (ممدوح) ، وتراجعا في رُعب ، إزاء
هذا التهديد ، على حين اعتدل (ممدوح) واقفًا ، ورأى أمامه
رجلًا متوسط القامة ، نحيلًا ، يرتدى منظارًا قاتمًا ، تمتد من
أسفل عدسته اليسرى ، وحتى نهاية صدغه ، ندبة كبيرة
بارزة ، ويرتدى حُلّة أنيقة ..

وبصوت قوى ، واضح النبرات ، قال الرجل :
— أبلغونى أنك تبحث عني أيها الشاب .. أنا
(ماكس) .. ماذا تريد مني ؟

تخلّى الرجلان عن (ممدوح) ، وتراجعا في رُعب ، إزاء هذا التهديد ،
على حين اعتدل (ممدوح) واقفًا ..

٨ — السجين الهارب ..

مضت لحظة من الصمت ، و (ممدوح) و (ماكس) يتبادلان نظرات باردة ، ثم قال الأول في هدوء :
— جئت أستعيد اختراع الدكتور (صادق) ، الذى استوليت أنت عليه .

تطلع إليه (ماكس) برهة ، من خلف عدستى منظاره القاتمتين ، ثم أطلق ضحكة رثانة ، وهو يستوى فوق أحد المقاعد ، وقال فى سخرية :

— ألم يخبرك رؤساؤك من هو (ماكس) ؟ .. لقد بلغنى ما فعلته ببعض رجال ميليشيا (منذر) .. ورأيتك منذ لحظات تؤدى عرضاً لا بأس به مع رجالى ، وهو يستحق أن أصفق لك من أجله ، ولكننى لم أتصور أن تصل بك الجرأة ، إلى الحد الذى يجعلك تتصور نفسك قادراً على استعادة الاختراع ، بعد أن صار فى حوزتى ، فذلك يفوق قدراتك ، ولقد عجز (الإنتربول) نفسه عن تحقيقه .

ابتسم (ممدوح) ، قائلاً فى هدوء :
— إنها ليست المرة الأولى ، التى أسمع فيها الحديث نفسه ، من رجال مثلك ، أصابهم الغرور ، وظنوا أنهم منيعون ، وضد الكسر ، ثم لم ألبث أن هشمتمهم بيدي .
تبدلت قسّمات (ماكس) ، وهو يحك أنفه قائلاً :
— لقد بدأت جرأتك تتحوّل إلى الوقاحة أيها الشاب .. ما اسمك .

أجابه (ممدوح) فى هدوء :
— (ممدوح عبد الوهاب) .
أخرج (ماكس) مسدّسه ، ولوّح به ، وهو يسأل (روود) :

— كم رصاصة فى خزانة مسدّسك ؟
أجابه (روود) فى انفعال :
— إننى لم أطلق رصاصة واحدة بعد .
ابتسم (ماكس) ابتسامة صفراء ، وصوّب مسدّسه نحو (ممدوح) ، قائلاً :

— ما رأيك أن تطلق أنا و (روود) رصاصاتنا عليك فى آن واحد ، لترى من منا يسهل تهشيمه .. أأست معى فى أن

عدد الثقوب ، التى سيحظى بها جسدك ، ستفرغ منه كل وقاحاته ؟

أجابه (ممدوح) ، دون أن يفارقه هدوءه :

— لست أظن أنك ستقدم على ذلك ، قبل أن تحاول استخلاص كل ما أحمله من معلومات ، وقبل أن تعلم ما إذا كان هناك آخرون يعلمون مخباك أم لا .. وما إذا كنت أطارذك وحدى ؟ أم أننى طليعة فريق من رجال الأمن ؟ وكم عددهم ؟ وما المسافة التى تفصلهم عنك ؟ ومدى تسليحهم ؟ .. كل هذه الأسئلة ستطرحها أنت أولاً ، قبل أن تقتلنى فى حماقة ، كما فعلت بـ (ستوك) منذ لحظات .

خفض (ماكس) قوّهة مسدّسه أرضاً ، وهو يقول :

— أهنتك .. لقد أقنعتنى .. ليس فقط بضرورة الحصول على ما لديك من معلومات ، ولكن بضرورة الاحتفاظ بك كرهينة أيضاً .. هيا .. هات ما لديك ..

استمع (ماكس) إلى (ممدوح) ، الذى أدلى إليه بوضع معلومات وهمية ، عن وجود فريق من رجال الأمن يسعى خلفه ، محاولاً كسب مزيد من الوقت .. ثم ابستم (ماكس) ، وتراخى فى مجلسه ، وهو يقول :

— إن اختراع عالمكم مدهش بالفعل ، ومازلت أنفجر ضحكاً ، كلما تذكرت أن سارقيه كانوا يطلبون عشرين ألفاً من الجنيهات فقط ، ثمناً له ، على حين تجد من يستعد لدفع عشرة ملايين فى مقابله ، والسعر قابل للزيادة .

أراد (ممدوح) استدراجه إلى الحديث ، فقال :

— لن يدفع أحد مثل هذا المبلغ ، قبل أن يؤقن من جدوى الاختراع ، ولا سيّما أنه ما يزال قيد التطوير .
ماكس :

— صدقت .. ولقد سلّمت الجهاز التجريبي إلى سفير دولة (رودسا) ، لعرضه على علماء دولته ، واحتفظت بالأوراق الخاصة بالتصميمات ، حتى ينتهوا من تقدير مدى أهميته ، فيهرولوا خلفى ، ويلقوا ملايينهم ، مقابل الحصول على اختراع عالمكم العبقري .
ممدوح :

— ألا ترى أنك تلعب بالنار ؟ .. إن وجود هذا الاختراع فى حوزتك قد يحوّلك إلى هدف للمطاردة ، من قبل عملاء مختلف الدول ، خاصة حينما تبالغ فى ثمن بضاعتك .
ضحك (ماكس) ، قائلاً :

— لن يتغير الكثير .. إننى مطارِد دَوْمًا ، ولقد خلفت فى
الكثيرين مشاعِر الإحباط والفشل ، ثم إنها ليست المرة
الأولى ، التى أتاجر فيها بالسلاح ، وسط ظروف يغلب عليها
طابع المخاطرة .. كل ما فى الأمر أننى أتاجر هذه المرة ببضائع
عالية القيمة ، عظيمة الأهمية .

ثم التفت إلى (روود) ، وأشار إلى (ممدوح) ،
مستطرذا فى حزم :

— اسجنه .. حتى نرى ما نفعله بشأنه ..

ظل (ممدوح) يسير فى سجنه جيئة وذهابًا ، فى خطوات
منتظمة ، على حين جلس حارس مسلح يراقبه من فجوة
ضيقة ، فى منتصف الباب ، و (ممدوح) يختلس إليه النظر
بدوره ، حتى أولاه الحارس ظهره ، ليلتقط زجاجة أخرى من
زجاجات الشراب .. فتوقف (ممدوح) فجأة ، وانحنى
ينتزع قطعة معدنية مربعة من كعب حذائه ، وألصقها فوق
الباب بمغناطيس خاص .. ولم يكد الحارس يصب نفسه
كأسًا ، حتى انتبه إلى توقف خطوات (ممدوح) ، فهب من
مقعده ، وتوترت حواسه كلها ، حينما رأى الفجوة المسدودة ،

وأسرع نحو الباب ودفع القطعة المعدنية بكعب بندقيته الآلية ،
وتطلع عبر الفجوة ، واتسعت عيناه ذهولًا ، حينما وجد
الحجرة خالية ، والسجين وقد تبخر تمامًا ..

واندفع الحارس يفتح الحجرة فى هلع ، ولم يكد يفعل حتى
أحاطت ذراعا (ممدوح) بساقيه من أسفل ، وأدرك الرجل ،
وهو يسقط على وجهه ، أن (ممدوح) كان راقدا أسفل
الفجوة تمامًا .. وحاول الحارس أن يقاوم ، وأن يستخدم
مدفعه ، ولكن (ممدوح) تشبث بظهره ، وضرب يديه
الممسكتين بالمدفع فى الأرض ، وأجبره على التخلّى عنه ، ثم
لوى ذراعه خلف ظهره وجذبه بقبضته الأخرى من ياقته ،
وضغط على مؤخرة عنقه فى قوة ، لينعه من الصراخ
والاستجداد ، والتقط مسدس الرجل من جرابه ، وألصق
فوهته برأسه ، وهو يقول فى صرامة :

— حذار أن يغلّـو صوتك ، وإلا ألهمت رأسك

بالرصا ص ..

أطاع الرجل الأمر ، ونهض مستسلمًا ، فالتقط
(ممدوح) مدفعه الآلى ، وقال فى صرامة :

— استدر .

ولم يكد الرجل يستدير ، حتى هوى (ممدوح) على مؤخرة عنقه بكعب المدفع ، فأسقطه فاقد الوعي ، وقبده بملاءة سرير الحجرة ، وكمم فمه برباط لاصق ، كان يخفيه داخل نعل حذائه ، ثم دس المسدس في حزامه ، أسفل قميصه ، خلف ظهره ، والتقط المدفع الآلي ، وأغلق السجن على الحارس ، واتجه نحو موقع (ماكس) .. واستعد للمعركة ..

أسرع أحد رجال (ماكس) إليه ، في حجرته العلوية ، وهو يقول :

— لقد حضر (منذر) وبعض أعوانه ؛ لمقابلتك .
زحجر (ماكس) ، قائلاً في حدة :

— في مثل هذه الساعة ؟! .. أظن ذلك الوغد أن وجودي في منطقة نفوذه ، يمنحه حق إزعاجي وقتما يشاء ؟
همس مساعده في توتر :

— من الأفضل أن تترفق في تعاملك معه ، حتى ننتهي من أعمالنا هنا ، فهو يوفر لنا الحماية الكافية ، ثم إن رجاله شديداً الحساسية والعصبية ، وعددنا محدود جداً ، بالمقارنة بهم ، وبأسلحتهم .

ارتدى (ماكس) سترته ، وهو يقول :
— ذلك التافه هو الذي يدين لي بالفضل ، فمعظم الأسلحة ، التي يقتها هو وشرذمته ، منحتم أنا إيّاها .
وهبط إلى الطابق الأرضي ، ليجد (منذر) جالساً فوق أحد المقاعد ، واضعاً ساقياً فوق أخرى ، وهو يحرك سيجاراً كبيراً بين شفتيه ، وإلى جواره أربعة من أعوانه يحملون أسلحتهم ، فقال (ماكس) في تبرم :

— مرحباً .. أي رياح ألفت بك ، في مثل هذه الساعة المتأخرة ؟

تأمله (منذر) قليلاً في صمت ، بعينين باردتين ، وهو يلوك طرف سيجاره في فمه ، ثم أشار إلى رجاله بالابتعاد ، فابتعدوا إلى الركن البعيد للردهة ، حيث يقف اثنان من رجال (ماكس) ، وأشار هو للأخير بالجلوس على المقعد المواجه له ، فجلس (ماكس) ، وهو يبدى امتعاضاً لذلك الأسلوب المتعالي ..

ومن فوق سطح إحدى الآليات القديمة المتهاكة ، راقبت عيناان حذرتان ما يحدث ..
عينا (ممدوح) ..

٩ - صراع الأشرار ..

كان (منذر) أول من بدأ الحديث ، وهو يقول في صوت يحمل طابع القسوة :

— أنت تعلم — كما أعلم أنا — يا عزيزي (ماكس) — أن معظم أجهزة الأمن في العالم تسعى خلفك ، وأننى أوفر لك دوماً الأمن والحماية والملاذ ، في كل مرة جئت تلوذ فيها بحمايتي .. أليس كذلك ؟

ماكس :

— ما الداعى لمثل هذا الحديث الآن ؟ .. أنت تعلم أيضاً أن مصالحنا مشتركة ، وأن اتصالاتى وعلاقاتى بتجار السلاح يمسى لك ترسانة ضخمة من الأسلحة ، تحفظ بها نفوذك .

منذر :

— وأنا أدفع الثمن دوماً ، على الرغم مما أوفره لك من حماية .

أجابه (ماكس) في ضيق :



ومن فوق سطح إحدى الآليات القديمة المتهاكة ، راقبت عينان حذرتان

ما يحدث .. عينا (ممدوح) ..

— أجمت في هذه الساعة المتأخرة ؛ لتعقد مقارنة بين ما يقدمه كل منا للآخر ؟

منذر :

— بل لأقول لك إنه من الواجب أن تكون العلاقة ، بين حليفين مثلنا ، أكثر وضوحًا وصراحة ، وألا يخفى أحدهما عن الآخر شيئًا .

ماكس :

— ماذا تعنى بذلك ؟

منذر :

— لماذا أخفيت عني أمر الاختراع ، الذي سرقتة ؟

أجابه (ماكس) متلعثمًا :

— اختراع ؟ .. أي اختراع ؟

نفث (منذر) دُخان سيجاره في وجهه ، وهو يقول له :

— اختراع الدكتور (صادق) .. العالم المصري .. ذلك

الاختراع الخاص بتفتيت المعادن .. ذلك الاختراع الذي جاء

لاستعادته ذلك الضابط المصري ، بعد أن سرقتة أنت ،

وفررت به من (القاهرة) .

صاح (ماكس) في عصبية :

— لست أدري شيئًا عما تقوله .. لا شأن لي بأية اختراعات ، وذلك الضابط المصري لم يأت إلا لإلقاء القبض علي ، نظرًا لأنني مطلوب في بلاده ، بعدة تهمة .

ضرب (منذر) ذراع مقعده في غضب ، هاتفاً :

— إنك تحاول خداعي ، على الرغم من معرفتك أنني لا أطيق من يخونني ، ولا أرحمه أبدًا .. إن ذلك الاختراع معك ، وأنت تحاول بيعه لدولة (رودسا) .. ولكنك تجهل أنه هناك جواسيس يعملون لحساب أجهزة مخبرات أخرى ، مثل دولة (أستريكا) داخل (رودسا) نفسها .. وأنهم علموا بأمر الاختراع ، وتأكدوا من نجاح التجارب التي أجريت على الجهاز التجريبي المصغر ، وهم يسعون للحصول على الاختراع لأنفسهم ، حتى لا يقع في أيدي خصومهم .

ماكس :

— وما شأنك أنت بذلك ؟

ألقي (منذر) سيجاره أرضًا ، ودهسه في عنف ، وهو يقول :

— شأني أنني قد وفرت لك حماية لا تستحقها ، وأنني تلقيت عرضًا بمبلغ ضخم ، لو سلمت الاختراع لأحد عملاء

دولة (أستريكا) ، بواسطة جهاز مخبراتهم ، الذى أخبرنى
بكل التفاصيل .. فهم يريدون منع نشوب حرب شعواء ،
بينهم وبين (رودسا) بسبب ذلك الجهاز ، ويفضلون أن
أمنحهم أنا إياه ، نظرًا لأن عنقك فى يدى .

ماكس :

— وهل قرّرت أن تعمل لحسابهم ؟

منذر :

— بل لحساب نفسى .. فبعد معرفتى بمدى أهمية وخطورة
هذا الاختراع ، قرّرت أن أملكه أنا فبواسطة يمكننى إخضاع
(لبنان) كله ، بل الدول المجاورة أيضًا .

ابتسم (ماكس) فى تحدّ ، قائلاً :

— خطأ يا (منذر) .. لست تملك الخبرة العلمية
الكافية ، لتصميم هذا الاختراع بحجمه الطبيعى ، فضلاً عمّا
يحتاج إليه هذا من تكاليف باهظة ، ثم إنك واهم لو ظننت أن
عنقى بين يديك حقًا ، فلدى رجالى أيضًا ، وهم مدرّبون على
استخدام الأسلحة ، تمامًا كرجالك ، ومن الأفضل ألا نحول
الأمر إلى مجزرة ، فأنت تحتاج إلى كل رجل من رجالك ، لدرء
خطر الميليشيات الأخرى ، التى تناصبك العداء .. ومن

الأفضل لكينا أن نتفق .. مارأيك فى عشرين فى المائة من ثمن
بيع الاختراع مثلاً ؟

أطلق (منذر) ضحكة وحشية ساخرة ، وهو يقول :

— عشرون فى المائة !.. سأقدّم لك أنا عرضًا أفضل ..

مارأيك أن تسلّمنى الاختراع ، ثم ترحل أنت ورجالك من
هنا ، على قيد الحياة ، بدلًا من أن أقتل الجميع ، وأنت على
رأسهم ؟. وإيّاك أن تعتقد أن مجموعة حشراتك هذه
ستخيفنى ، فحول وكرك يقف ألفان من رجالى ، مع أسلحة
كافية ، بإشارة واحدة من يدى ، لتدميرك ورجالك تدميرًا
رهيبًا .

نهض (ماكس) من مقعده ، وتأمّل (منذر) لحظة فى

برود ، ثم استلّ مسدّسه بغتة ، وهو يهتف :

— ها هو ذا جوابى .

وانطلقت من مسدّسه رصاصة ، أصابت (منذر) فى قلبه
تمامًا ، فجحظت عيناه فى دهشة وألم ، ثم هوى جثة هامدة ،
فأسرع رجاله يصوّبون أسلحتهم إلى (ماكس) ، وأسرع
أفراد عصاة هذا الأخير يدافعون عنه ، وتبادل الطرفان
إطلاق النار فى معركة حامية ، استغلّ (ماكس) انشغال

الطرفين فيها ، وأسرع مغادراً المكان ، بصحبة (روود) ،
إلى حجرة جانبية ، وأغلق الباب خلفهما في إحكام ، ثم عمد
إلى لوحة زيتية تزين الحائط ، ورفعها من مكانها ، كاشفاً
خزانة فولاذية ، التقط منها حقيبة الدكتور (صادق)
الرمادية ، التي تحوى سر الاختراع ، على حين حرك
(روود) جزءاً بارزاً من حائط الحجرة ، فانكشفت فجوة
صغيرة ، تحوى ذراعاً معدنية ، جذبها (ماكس) إلى اليسار ،
فانشق الحائط ، كاشفاً تجويفاً ضيقاً ، يقود إلى شارع خلفى ،
وقفت في نهايته سيارة زرقاء ، وشعر (ماكس) بالابتهاج ؛
لأنه و (روود) فقط يعلمان سر ذلك النفق السرى ، الذى
دلّهما عليه (مندر) قديماً ، والذى احتفظ بسرّه لنفسه ،
وابتسم (ماكس) ، وهو يقول :

— أراهنك أن (مندر) لم يدرّ بخليده أبداً ، أننا
سنستخدم نفقه للفرار من رجاله ، بعد أن نقتله .

وانطلق مع مساعده نحو السيارة ، غير عابئين بمصير باقى
الرجال ، الذين تساقطوا كالذباب ، فى مواجهة غير عادلة مع
رجال (مندر) الألفين ، الذين اقتحموا المصنع ، إثر سماعهم
لصوت إطلاق النار ..

أما (ممدوح) ، فقد قفز من مكانه ، فوق سطح الآلة
القديمة ، وتأهّب لاستخدام مدفعه الآلى ؛ ليشق لنفسه
طريقاً ، يقوده إلى خصمه (ماكس) .
وكان عليه أن يقاتل فى شراسة ..
يقاتل ألفى رجل ..



١٠ - مطاردة الشيطان ..

اعترض بعض رجال الميليشا طريق (ممدوح) ، فبادرهم بإطلاق النيران ، وأرداهم قتلى ، وتخطأهم وهو يعدو نحو الحجرة ، التي شاهد (ماكس) ومساعدته يلجآن إليها ، غير عائى بالرصاصات التي أمطرت حوله ، وحوّلت المكان إلى جحيم مستعر ، واقتحم الحجرة ، وأدرك من اللحظة الأولى أن (ماكس) قد سبقه إلى الفرار ، حاملاً سر الاختراع .. ولم يكدهم يتقدّم داخل الحجرة ، حتى اندفع خلفه ثلاثة من رجال (منذر) ، وأشار إليه أحدهم ، هاتفاً في غلظة :

— ها هو ذا الوغد ، الذي حطّم درّاجاتنا .. أطلقوا عليه

النار .

ولكن (ممدوح) صبّ عليهم وابلاً من نيران مدفعه ، وأسقط اثنين منهم على الفور ، على حين رأى ثلاثة آخرين يقتحمون الحجرة ، شاهرين أسلحتهم ، وأدرك عقم القتال بلا نهاية ، فراح يطلق رصاصات مدفعه يميناً ؛ ليشتت

أعداءه ، على حين حرّك الذراع المعدنية يسراه ، وقفز داخل الفجوة ، التي أغلقت خلفه مرّة أخرى ، وانطلق يعدو حتى نهاية الممر ، ثم توقّف محنقاً ، وهو يتطلّع إلى السيارة الزرقاء ، التي أخذت تبتعد في سرعة ..

وفجأة .. حدث ما أدهشه ..

رأى سيارة من طراز (مرسيدس) ، فاخرة ، بدت عجيبة وسط المكان المتهدّم المنهار ، تقودها شقراء فاتنة ، رائعة الجمال ، وبقدر ما أدهشه ذلك ، شعر بالأمل ينبض في عروقه ، واندفع يعترض السيارة ، وهو يلوح لصاحبتها ، فتوقّفت ، وتطلّعت إليه من نافذة السيارة ، تسأله في هدوء :

— هل من خدمة يمكنني تقديمها لك ؟

قفز (ممدوح) إلى المقعد المجاور لها ، وهو يهتف :

— تابعي السير .. انطلقى بأقصى سرعة ممكنة .

اعترضت الفتاة في جدّة :

— من أنت لتصدر لي الأوامر ؛ وكيف تجرؤ أن

قاطعها في حزم :

— إننى شرطى ، وأطارده مجرماً خطيراً ، وينبغى أن ألحق به بأية وسيلة .

هتفت في فرح :
— أتعنى أنها مطاردة بوليسية؟! .. إنسى أعشق
المغامرات .

قال ، وهو يستحثها على الإسراع :
— سنتحدث فيما بعد عما تعشقينه .. والآن دعينا نرى
كيف يمكننا الاعتماد عليك .

هتفت في حماس :
— كما تأمر يا سيدي .
وأطلقت لسيارتها العنان ، خلف السيارة الزرقاء ، وهي
تهتف في حماس :

— سنلحق به .. لن نسمح له بالإفلات منا .
لمح (ماكس) (المرسيدس) في مرآة سيارته ، فقال
لمساعدته في صرامة :

— يبدو أن هذه السيارة تسعى للحاق بنا .
غمغم (روود) في قلق :
— أتعنى أنها تطاردنا ؟
أجابه (ماكس) في هدوء :
— لست أشك في هذا .. أخذ المنظار المقرب من درج
السيارة ، وانظر من قائدها .

تناول (روود) المنظار ، ووضعه فوق عينيه ، وأخذ
يدقق النظر ، قائلاً :

— لست أتبين الوجه ، ولكن هناك شخصان داخل
السيارة .. آه !! ها هي ذى تقترب .. إن القائد فتاة .. فتاة
شقراء ، والرجل الجالس إلى جوارها هو

تحول صوته بغتة إلى صرخة ، وهو يهتف :
— إنه ذلك المصرى .. يا للشيطان !!
هتف (ماكس) في قلق :

— كيف أفلتت من ذلك الجحيم ؟
أجابه (روود) في توتر بالغ :
— هذا الرجل بالغ الخطورة ، شديد الإصرار والعناد
يا (ماكس) .

استعاد (ماكس) صرامته ، وهو ينهره في حدة :
— ماذا أصابك ؟ .. أوهنت عزيمتك إلى هذا الحد ؟ ..
أتحشى رجلاً واحداً ؟

غمغم (روود) ، وهو يتطلع إلى السيارة ، التي تزداد
قرباً منهما :

— لقد هزم سبعة من رجال (منذر) ، وأربعة من

رجالنا ، واخترق منطقة حربية كاملة ليصل إليك .. ألا تجد في كل ذلك ما يُقلق ؟

التقط (ماكس) من أسفل مقعده مسدسًا ضخماً ، مزوّدًا بماسورة طويلة ، لإطلاق القذائف الصاروخية ، وناولته إلى (روود) ، قائلاً :

— خُذ .. بدلاً من الدعاية للرجل ، أطلق النار عليه ، فعميل (رودسا) سينتظرنا بالقرب من ميناء (بيروت) ، بعد ساعة واحدة ، وليس لدينا ما نضيقه من وقت .

التقط (روود) المسدس ، وأطلق منه طلقة صاروخية ، أصابت زجاج (المرسيدس) الأمامي ، فهتف (ممدوح) يطالب الفتاة بخفض سرعتها ، ورأسها ، إلا أنها هتفت في حماس وجذل :

— دَعْنِي .. لقد بدأت المغامرة الحقيقية على التّو .

صاح (ممدوح) وقد أدهشه موقفها :

— يا لك من فتاة عجيبة !! إننا نواجه موتًا حقيقيًا ، وليس مشهدًا سينمائيًا ، والخسارة في الحقيقة تتجاوز زجاج السيارة إلى جمجمتك نفسها .

هتفت دون أن تتخلّى عن حماسها :

— ارفع رأسك يا أخى .. ألم تلاحظ أن ثلاثًا قد أصابت الزجاج ، دون أن تخترقه .

تطلّع (ممدوح) في دهشة إلى زجاج السيارة ، الذى لم يصب سوى بخدوش بسيطة ، على حين ضحكت الفتاة ، قائلة :

— إنها ليست سيارة من أحدث طراز فحسب ، ولكنها سيارة مصفّحة ، ذات زجاج مضاد للرصاص ، فلا بدّ لمن يتجوّل في مناطق الميليشيات من سيارة مثله .

حدّق (ممدوح) فيها بدهشة ، انتزع — منها دويّ رصاصات تمرق أسفل السيارة ، فهتف :

— لقد انتبه مطار دوننا إلى ذلك أيضًا ، وهم يطلقون على الإطارات الآن .

قالت في إصرار :

— سأزيد من سرعتي ، وأعرض السيارة الزرقاء .

ممدوح :

— لن يمنعه هذا من التصويب على الإطارات .. كلاً .. إن لدى وسيلة أخرى ، سأستخدم الحزام النفّاث .

هتفت في دهشة :



— الحزام ماذا؟! ..

أجابها في هدوء :

— إنه حزام مزود ببطاريتين نفائتين ، تتيحان لي الطيران على ارتفاع مترين ، لمدة دقيقتين فحسب .

ضحكت مغمغمة في شك :

— أنت تهزل ولا شك .

لم يجيبها (ممدوح) ، وإنما نزع غلافين رقيقين عن جانبي حزامه العريض ، فانطلق من حوافه تيار هوائي ساخن ، وفتح باب السيارة ، وألقى نفسه منها في وضع أفقي ، واتسعت عينا الفتاة في ذهول ، فقد رأت (ممدوح) يطير .. يطير حقًا ..



وفتح باب السيارة ، وألقى نفسه منها في وضع أفقي ، واتسعت عينا الفتاة في ذهول ، فقد رأت (ممدوح) يطير .. يطير حقًا ..

١١ - هروب الشيطان ..

ضاعفت الفتاة من سرعتها ، حتى أصبحت تنطلق بمحاذاة سيارة (ماكس) من الجهة اليسرى ، فحوّل (روود) وجهه إليها ، ليطلق نحوها رصاصات مسدّسه ، وفي نفس اللحظة كان (ممدوح) يخلّق - بواسطة حزامه النفّاث - على الجانب الأيمن للسيارة ، ثم فتح بابها بفتة ، وانقضّ على (روود) ، الذى أصيب بالذهول حيناً طوّق (ممدوح) عنقه بذراعه ، وأطبق على رسغه بقبضته ، على حين تجاوزت الفتاة سيارة (ماكس) ، واعترضت طريقه فى حركة حادّة ، إلّا أن الشيطان نفّض أثر المفاجأة فى سرعة ، وأوقف سيارته فى جدّة ، وقفز منها ، ممسكاً بالحقيبة والمسدّس ، ولكن الفتاة قفزت من سيارتها ، وشهت فى وجهه مسدّساً سريع الطلقات ، أحاطت مقبضه بقبضتيها ، وهى تهتف فى حزم :

— قف مكانك .. ألقِ مسدّسك أرضاً أو أقتلك .

توقّف (ماكس) ، وألقى مسدّسه بينهما ، وهو يقول :

— أنت تربحين .

اتجهت الفتاة نحو مسدّسه ، إلّا أنه باغتها بضربة خاطفة من الحقيبة فى وجهها ، أسقطتها أرضاً ، وأسالت الدماء من أنفها ، وهى تطلق رصاصة عشوائية ، وفى قسوة ، ركل (ماكس) مسدّسها ، وتجاهل صرختها المتألّمة ، وهو يلتقط المسدّس ، ويعدّو نحو سيارتها ، هاتفاً فى سخرية :

— أشكرك على سيارتك القوية ، فهى ستكفل لى الوصول فى الموعد المناسب .

وقفز داخل سيارتها ، وانطلق بها مبتعداً ، فى نفس اللحظة التى حسم فيها (ممدوح) صراعه مع (روود) بلكمة قوية ، ثم انتزعه خارج السيارة ، قبل أن يفقد وعيه ، وهتف به فى عنف :

— ما الجهة التى يقصدها زعيمك ؟

غمغم (روود) فى إعياء :

— لست أدرى .. لست أدرى .

دفعه (ممدوح) فى قوة ، ليسقط على ركبتيه ، وعاد يقول

فى عنف :

— حسناً .. إنك لم تدع لى الخيار .

وَأَلْصَقَ فَوْهَهُ الْمَسْدَسَ الصَّارُوخِي ، الَّذِي انْتَزَعَهُ مِنْهُ ،
بِرَأْسِهِ ، فَصَرَخَ (رُوود) فِي رَعْبٍ :

— لا .. لا تقتلني .. سأخبرك بكل شيء .. إنه في طريقه
إلى ميناء (بيروت) ، حيث يلقاه أحد عملاء (رودسا) ،
لينقله إلى إحدى سفنهم الراسية في الميناء ، لإتمام الصفقة بشأن
الاختراع .

اقتربت الفتاة في تلك اللحظة ، وهي تجرّ قدميها ، فعاونها
(ممدوح) على الصعود إلى سيارة (ماكس) ، وأدار
محركها ، وهو يقول لـ (رُوود) في صرامة :

— سأبلغ رجال الشرطة ، ليلقبوا القبض عليك ، وأظن
أن هذا أفضل من وقوعك في أيدي ميليشيا (مندر) .. أليس
كذلك ؟

وانطلق ينهب الأرض نهبا ، نحو ميناء (بيروت) ، وقدم
منديله إلى الفتاة لتمسح به دماء جرح أنفها ، وهو يقول :

— يؤسفني ما سببته لك من متاعب ، ومن فقدك
لسيارتك . ولكن الظروف أجبرتني على إشراكك في
مغامرتي ، وسأعمل على تسليمك لأقرب نقطة إسعاف و
قاطعته بابتسامة هادئة ، على الرغم من جروحها ، وهي
تقول :

— لا تقلقنك جروحي ، فهي أبسط من أن أجا إلى
الإسعاف ، أما عن السيارة ، فليست أشك في استعادتها ،
فقط دعني أشاركك مغامرتك حتى النهاية ، فلم تعد لدى
أمنية أكثر من رؤية ذلك المجرم يسقط ، بعد ما فعله بي .
اعترض (ممدوح) ، قائلا :

— كلاً .. لن أسمح بتعرضك لمزيد من الخطر ، فهي
عمليتي وأخدي .

قالت في إصرار :

— لقد أصبحت شريكك فيها ، منذ سمحت لك بركوب
سيارتي ، وليس من حقك فض الشركة وحدك .

لم يحاول إخفاء دهشته ، إزاء عنادها ، وعدم تقديرها لكم
المخاطرة ، ولم يحاول مجادلتها أو اعتراضها أيضا . فلم يكن
ذهنه ليصفو لذلك ..

كان كل ما يشغله هو أمر واحد ..
أن يمنع تلك الصفقة ، بين (ماكس) وعملاء
(رودسا) ..

أن يمنعها مهما كان الثمن ..

١٢ - صراع في الميناء ..

لم يكد عميل (رودسا) يلمح (ماكس) ، وهو يقترب ، حتى أشار إليه هاتفًا :

— هيا .. لم يعد لدينا وقت .

أسرع (ماكس) إليه ، وهو يحمل الحقيبة ، واستقل الاثنان زورقًا بخاريًا ، نقلهما إلى سفينة شحن تجارية ، تابعة لـ (رودسا) ، تحركت على الفور ، متجهة إلى عرض البحر ..

ووصل (ممدوح) في اللحظة التي انطلق فيها الزورق البخارى ، وكان يمكنه أن يطلق النار على راكبيه ، ولكنه لم يكد يخرج مسدسه حتى أحاط به رجال شرطة الميناء ، وألقوا القبض عليه ، واقتادوه إلى حجرة رئيسهم ، فهتف به (ممدوح) في حدة :

— أنا المقدم (ممدوح عبد الوهاب) ، من إدارة العمليات الخاصة المصرية ، وذلك الرجل ، الذى يهرب بالقارب

البخارى ، مجرم خطير ، يحمل سلاحًا استراتيجيًا رهيبًا .

أجابه رئيس شرطة الميناء متهمًا :

— قصة مثيرة ، تصلح ك فيلم سينمائي ، ولكنها لا تمنحك الحق في إطلاق النار من رصيف الميناء ، على قوارب بخارية خاصة .. فذلك القارب تابع لدولة (رودسا) ، وهو في طريقه للحاق بسفينة شحن ، وهذا أمر مباح ، ولا يحق لأحد منع ذلك بإطلاق النار .

لم يجد (ممدوح) جدوى من المناقشة ، فأخرج بطاقته ، وناولها للرجل ، قائلاً فى حزم :

— اتصل برئيس الشرطة ، ودعنى أتحدث إليه .

عقد الرجل حاجبيه فى دهشة وقلق ، إلا أنه طلب رقم رئيس الشرطة ، وناول السماعة لـ (ممدوح) ، الذى شرح الأمر لرئيس الشرطة فى سرعة ، ثم ناول السماعة لرئيس شرطة الميناء ، الذى استمع إلى رئيس الشرطة العام فى اهتمام ، ثم وضع السماعة ، هاتفًا :

— أعلنوا الاستفار العام .. لابد من منع ذلك الزورق من بلوغ سفينة الشحن ، بأى ثمن .

ثم التفت إلى (ممدوح) مغمغماً :

— معذرة يا سيادة المقدم .. إننى

لم يأبه (ممدوح) بسماع باقى اعتذاره ، وإنما أسرع يغادر المكتب ، باحثاً عن وسيلة للحاق بالزورق ، قبل أن يصل إلى المياه الدولية ، على حين انطلقت القوارب البخارية الحديثة ، التابعة لشرطة السواحل اللبنانية ، تشق طريقها نحو الزورق البخارى ، وبلغه أحد قوارب الشرطة ، فأمسك ضابطه بمكبّر صوت ، وقال فى صرامة :

— نداء إلى الزورق التابع لدولة (رودسا) .. توقّف على الفور لتفتيش عاجل .

هتف (ماكس) فى توثر وعصيّة :

— لقد كشفوا أمرنا .

وتناول مدفعاً آلياً من قرار الزورق ، وهمّ بإطلاق النار على قوارب الشرطة ، إلا أن العميل الرودسى اختطف منه المدفع ، هاتفاً :

— ماذا تفعل أيها الأحمق ؟ .. أتريد أن يدمرونا ؟

صاح (ماكس) فى حدة :

— أتريد أنت أن يلقوا القبض علينا ؟

ابتسم العميل ، وهو يصوب إليه قوهة المدفع الآلى ، قائلاً :

— بل سأكتفى بتسليمهم جثتك ، فهذا ما كان ينتظر على أية حال ، قبل أن تصل إلى السفينة ، فرئيسى لا يهتم سوى بالحصول على الحقيبة ، وسأحملها إليه .

تظاهر (ماكس) بالهدوء ، وهو يقول :

— أتظن أن رجال السواحل سيتركوك تهرب بهذه البساطة ؟

أجابه العميل :

— سأتظاهر بطاعة أوامرهم ، وأوقف المحركات وأتركك جثة هامدة ، وأتسلّل مع الحقيبة تحت الماء ، بثياب الغوص .. أرايت كيف أن الأمر بالغ السهولة ؟! والآن هيا .. أوقف المحركات ..

انحنى (ماكس) ، وكأنما يطيع الأمر ، ثم نهض فجأة ، وأطلق رصاصة من مسدسه الصغير ، الذى يخفيه فى جيب سرواله ، فاخترقت الرصاصة الجيب ، واستقرت فى رأس العميل ، الذى هوى جثة هامدة على الفور ، وسقط مدفعه فى الماء .. فأسرع (ماكس) يرتدى ثياب الغوص الخاصة

بالعميل ، ووضع الحقيبة الرمادية داخل حقيبة مطاطية ،
معدّة للغوص ، وراه ضابط قارب الشرطة ، وأدرك
ما ينتويه ، فصاح برجاله :
— أطلقوا النار .

ولكن (ماكس) كان الأسبق ..
ولقد غاص إلى الأعماق ..

سبح (ماكس) طويلاً في الأعماق ، حتى بلغ رصيف
الميناء ، في منطقة نائية مهجورة ، فصعد إليه ، ونضا عنه ثياب
الغوص ، وانطلق يعدو نحو سور من الأسلاك الشائكة يحيط
بمنطقة عشية مجاورة ..

وفجأة .. برز (ممدوح) من خلف مجموعة من الصناديق
الخشبية القريبة ، وشهر مسدسه في وجه (ماكس) ، قائلاً :
— إلى هنا تنتهى رحلتك أيها الوغد .. لقد كان أول
ما فعلته ، حينما اقتحمت سيارتك ، واشتبكت مع
مساعدك ، هو أن ثبتّ جهاز إرسال صغير ، في حجم رأس
الدبوس ، في ياقة سترتك ، في أثناء انشغالك بالقيادة ،
وذئذباته هي التي قادتني إليك .. والآن سلّمني الحقيبة ،
وقدّم لي ساقيك ، لأزينهما بالأغلال الحديدية .



وأطلق رصاصة من مسدسه الصغير ، الذي يخفيه في جيب سرواله ،
فاخترقت الرصاصة الجيب ، واستقرّت في رأس العميل ..

رفع (ماكس) الحقيبة ؛ ليقدمها إلى (ممدوح) ، قائلاً :
— يبدو أنه لا مناص من الاستسلام .

وفجأة .. أبرز مُدِيَّة حادَّة ، تختفي أسفل الحقيبة ، وألقاها
نحو (ممدوح) ، فاستقرَّت في كتفه ، ومنحته شعوراً رهيباً
بالألم ، على حين انطلق (ماكس) نحو سور الأسلاك الشائكة
حاملًا الحقيبة ، فتمالك (ممدوح) نفسه ، على الرغم من آلامه
ودمائه النازفة ، وأطلق رصاصة مُحْكَمَة على ساق
(ماكس) ، الذي سقط أرضاً ، واندفعت الدماء من ساقه ،
إلا أنه راح يجرُّ نفسه جرّاً إلى السور ..

وفجأة .. دَوَّت رصاصة أخرى ، لم تخرج من فوهة
مسدس (ممدوح) ، واتسعت عيناه (ماكس) في ذهول
وَألم ، وهو يحدّق في مصدرها ، ثم هوى جثة هامدة ، وقد
اخترقت الرصاصة ججمته ، واستقرَّت بين ثنايا مخه ، وتطلّع
(ممدوح) في دهشة إلى الفتاة الشقراء ، التي وقفت جامدة ،
والدخان يتصاعد من فوهة مسدسها ، واقترب منها ، وهو
يعيد مسدسه إلى حزامه ، قائلاً في ضيق :

— لم تكن هناك ضرورة لقتله ، فلم يكن باستطاعته الفرار
بساق مصابة .

ثم انحنى يتناول الحقيبة الرمادية ، إلا أن الفتاة استوقفته في
صرامة ، وهي تصوّب إليه مسدسها :

— دَعُها مكانها يا سيادة المقدم .. لقد أصبح الاختراع
ملكاً لدولة (أستريكا) .

تطلّع إليها (ممدوح) في دهشة ، وقال :

— إذن فأنت لست مجرد مراهقة تهوى المغامرة ، بل
عميلة لدولة (أستريكا) ، المنافسة لـ (رودسا) !
انزععت الفتاة مسدسه من حزامه ، وألقته بعيداً وهي
تحيب :

— هذا صحيح ، ومهمتي هي الحصول على الحقيبة ،
وقتل (ماكس) ، خشية أن تكون لديه صور أخرى من
التصميمات .

ابتسم (ممدوح) في مرارة ، مغمماً :

— كيف لم أستتج ذلك منذ البداية ؟ .. ظهورك المفاجئ
في موقع الأحداث ، وسيارتك المصفحة ، وبراعتك في
استعمال المسدسات ، وإصرارك على استمرار المطاردة .. كل
ذلك لم يكن طبعياً ، بالنسبة لفتاة عادية .

غمغمت ، وهي تصوّب مسدسها إلى رأسه :

— استتاج متأخر يا سيادة المقدم .. كم يؤسفني أن أقتل شابًا مثلك فلقد استمتعت بصحبتك بالفعل .. وداعًا .

ولكن (ممدوح) انتزع المِدية من كتفه في سرعة ، وقفز جانبًا ، وهو يلقيها نحو الفتاة ، فاستقرت في ذراعها ، وطاشت رصاصتها ، وهي تتأوه في ألم ، وسقط مسدسها من يدها ، فقفز (ممدوح) يلتقطه ، وصوبه إليها قائلاً :

— من المؤسف بالنسبة إليّ أيضًا أن أصيب فاتنة مثلك ، ولكنك لم تدعى لي الخيار .

توقفت قوارب الشرطة إلى جوار رصيف الميناء في تلك اللحظة ، وتدقق منها عشرات من رجال الشرطة نحوهما ، وهو يردف في فخر :

— ولقد عاد الاختراع أخيرًا إلى موطنه الأصلي .. إلى (مصر) ..

جلس (ممدوح) أمام اللواء (مراد) في (القاهرة) ، وقد تعلقت ذراعاه في أربطة تحيط بعنقه ، وتلفت حول كتفه المصابة ، وقال اللواء (مراد) مهنيًا :

— مازلت تبرز نجاحًا تلو الآخر يا (ممدوح) .. فلولاك

ما عاد إلينا ذلك الاختراع الهام ، بعد أن تضافرت العديد من القوى ؛ للحصول عليه .

ممدوح :

— وماذا عن الجهاز التجريبي ، الذي حصل عليه علماء (رودسا) ؟

اللواء (مراد) :

— لأهمية له ، إنه يستخدم لتجربة تأثير الإشعاع فحسب ، وطاقته محدودة ، وخاماته ستدوب تلقائيًا ، قبل إتمام فحصهم له .

ممدوح :

— الآن يمكنني أن أنعم بإجازتي المرضية .

اللواء (مراد) :

— حاول أن تشفى سريعًا ، فلا يمكننا الاستغناء عنك طويلًا .

ابتسم (ممدوح) ، وهو يقول :

— أنا أيضًا لا يمكنني الابتعاد عن العمل طويلًا

يا سيدي ، ولكنها إجازة إجبارية .

وأطلق ضحكة صافية ، مستطردًا :

— كالمعتاد .

وشاركه اللواء (مراد) ضحكته المرححة الطويلة ..

[تمت بحمد الله]

المؤلف



أ. شريف شوقي

سرقة الاختراع

لم يجبها (ممدوح) ، وإنما نزع غلافين
رقيقين عن جانبي حزامه العريض ، فانطلق
من حوافه تيار هوائى ساخن ، وفتح باب
السيارة ، وألقى نفسه منها فى وضع أفقى ،
واتسعت عينا الفتاة فى ذهول ، فقد رأت
(ممدوح) يطير .. يطير حقاً ..

إدارة العمليات الخاصة

المكتب رقم (١٩٩)

سلسلة روايات

بوليسية للشباب

من الخيال العلمى

تحدى المافيا

العدد القادم



التمن ف

مع

قريباً

س

دولارا

أمريكا

فى سائر

الدول

العربية

والعالم